DOI: https://doi.org/10.22452/ris.vol10no2.9 Vol. 10 No.2 (2023): 151-176

ONLINE JOURNAL OF RESEARCH IN ISLAMIC STUDIES
المجلة المحكمة عبر الانترنت في الدراسات الإسلامية
UNIVERSITI MALAYA
Akademi Pengajian Islam

Received: 2023-08-02 Accepted: 2023-12-29 Published: 2023-12-30

Original Article

تعالقات السياسة والأخلاق بتحولات الهوية الغربية: فخر المثلية نموذجاً

(The Interplay of Politics and Ethics in the Transformations of Western Identity - LGBT Pride as a Model)

Ayman Kassem Alrefai[a*], Amer Abdulwahab Murshed[b], & Sharifah Hayaati binti Syed Ismail[c]

[a]Ph.D Candidate, Department of Siasah Syar'iyyah, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia.
[b]Senior Lecturer, Department of Siasah Syar'iyyah, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia,
[c]Professor, Department of Siasah Syar'iyyah, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia.

*** Corresponding author, email; s2105887@siswa.um.edu.my & aymanalrefai@yahoo.com**

ملخص

تتناول هذه الدراسة مشكلة الهوية ومركزية القيم والأخلاق في الثقافة الغربية وتعالقها لسياسة التي تؤثر في مسار تحولاتها للتاريخي. حيث تهدف هذه الدراسة إلى كشف الدور المحوري عبر التاريخ الذي لعبته وتلعبه السياسة في تحريك مركزية القيم في المجتمع الغربي والأوربي منه على وجه الخصوص، و لتالي قدرتها من خلال ذلك على التحكم لهوية والثقافة الغربية وتشكيلها طوعاً لرغبة النظام السياسي فيها وتوجهاته الأيديولوجية. حيث يتجلى السؤال البحثي الذي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه في: كيف لستطاعت السياسة التي يفترض لفها أحد مخرجات المجتمع وثقافته أن تكون هي اللاعب الأسلسي في إعادة تشكيل ثقافة المجتمع الغربي وهويته؟ ولماذا كانت المرجعية القيمية والأخلاقية هي الأداة الأهم في تنفيذ ذلك؟. حيث سنحاول الإجابة على هذا السؤال من خلال دراسة ريخية موجهة لتقصي هذا الدور للسياسة في الغرب عبر ريخها الطويل، مع التركيز على بعض الظواهر الرئيسية المعاصرة التي شكلت نتائج جوهرية لهذا الدور وثيره على الهوية والثقافة الغربية وهذه الظواهر هي: معاداة السامية، الإسلاموفوبيا، كراهية الأجانب، فخر المثلية للنخلص من خلالها إلى أن تخلي المجتمع الغربي عن دوره الأسلسي في الحفاظ على مرجعيته القيمية الأخلاقية التي تشكل هويته وثقافته لصالح السياسة وللعابثين فيها من السياسيين والاقتصاديين الفلسدين قد دمر إرث ومكتسبات عصر التنوير الذي بلغ به الغرب يوماً سويته الحضارية الأرقى، وإن هذا الدور هو الذي سيقود المجتمع الغربي إلى الهاوية المحتمة خضوعاً لقوانين الحضارة وفلسفة التاريخ. وتندرج دراستنا هذه في أسلسها المنهجي تحت حقل الدراسات التحليلية النقدية؛ إذ تقوم في جوهرها على مناقشة وتحليل إشكاليات الثقافة الغربية، وتوضيح دور السياسة في تشكّلها التاريخي، وبيان الازدواجية في القيم الأخلاقية الأوروبية المعاصرة، و ثيراتها الهائلة في السياق التفاعلي التواصلي الشامل.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الغربية، الهوية، السياسي، الأخلاق، الثقافة، معاداة السامية، الإسلاموفوبيا، المثلية.

ABSTRACT

This study addresses the problem of identity and the centrality of values and ethics in Western culture and its relationship with politics, which has influenced its historical transformations. The aim of this study is to uncover the pivotal role that politics has played and continues to play throughout history in shifting the centrality of values in Western society, particularly in Europe. Consequently, it examines its capacity to control Western identity and culture willingly according to the desires and ideological orientations of its political system. The research questions this study attempts to answer is: How did politics, assumed to be an outcome of society and culture, manage to become the main player in reshaping the culture and identity of Western society? And why were values and ethics the most important tools in executing this transformation? To answer this question, the study employs a historical approach to investigate the role of politics in the West throughout its long history. It focuses on some contemporary key phenomena that have resulted from this role and their impact on Western identity and culture. These phenomena include anti-Semitism, Islamophobia, xenophobia, and LGBTQ pride. Through this analysis, the study concludes that the Western society's abandonment of its primary role in preserving its moral values and ethics, which constitute its identity and culture, in favor of politics and corrupt politicians and economists, has led to the destruction of the Enlightenment heritage that once elevated the West to its highest civilization. This role will ultimately lead Western society to an inevitable abyss, subject to the laws of civilization and the philosophy of history. This study falls within the methodological field of critical analytical studies. Its core lies in discussing and analyzing the problematic aspects of Western culture, elucidating the historical role of politics in its formation, and revealing the duality of contemporary European moral values and their immense impacts within the comprehensive interactive context.

Keywords: Western culture, identity, politics, ethics, culture, anti-Semitism, Islamophobia, homosexuality

---

مقدمة:

لطالما كان للسياسة تأثيرها العميقة في الشعوب والمجتمعات على مختلف الأصعدة؛ الأمني والاقتصادي والاجتماعي ولاسيما الثقافي والأخلاقي. إذ نلحظ أنّ الكثير من التحولات الكبرى في الهوية الثقافية لأمة من الأمم قد حصلت بسبب قرار سياسي بحت فرض على شعوبها هوية ثقافية جديدة ومرجعية أخلاقية جديدة، قد تكون على نقيض كلّي مع الأصل فإنّ تحول الإمبراطورية الرومانية من الوثنية إلى المسيحية – بوصفها هوية ثقافية بعينها من رؤية محددة للكون –كان بقرار سياسي من الإمبراطور قسطنطين الأول (306 – 337م) الذي لم يكن يعتنق المسيحية حينها، ولكنّه وجد فيها ضالته لترسيخ حكمه، والاستفادة من السيطرة الكبيرة للروح المسيحية على معتنقيها[1]. ولعلّ هذا الفعل لا زالت نتائجه ظاهرة حتى اليوم في تلك الهوية الثقافية للغرب، فعلى الرّغم من الدور غير الفعال للدين المسيحي في الحياة اليومية للغرب عموماً، إلا أنّ هذا لا يعني أبداً إنكار أنّه مجتمع ذو هوية ثقافية لها جذور مسيحية. وكذلك الأمر

1) عبد الحفيظ، سعيد محمد سعيد. (2016). الاعتزاف لمسيحية زمن الامبراطور قسطنطين الأول (337-306) بين الرمز الديني والتوظيف السياسي العسكري. المجلة الليبية العالمية. العدد 5. كلية التربية. جامعة بنغازي.

في تجربة تركيا أتورك، فبعد تحولها من الهوية الثقافية الإسلامية إ ن عهد الدولة العثمانية إلى العلمانية المتنمتة عند استلام كمال أتورك الحكم (1923 -1938م) فرضت قوانين هذه العلمانية هوية ثقافية ومراجعية قيمية مغايرة كلّياً لما كان يعيشه الأتراك، وصلت حدّ التدخل لملبس والطقوس والعادات.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المجتمعات لا يمكن أن تنسجم مع لهو ت الثقافية المفروضة من السيلسي إذا لم تكن بنيتها الداخلية وبخاصة مرجعيتها القيمية مستعدة لهذه التحولات الهو تية، بل إنّ هذا لمفرض لهو تي غير المتقبَّل بنيو ً يمكن أن يشكّل عوامل ثورية مركزية تؤدي مُستقبلاً إلى ثورة مضادة شاملة بعة من البنية الهو تية المشوهة المفروضة عليها.

إشكاليات الهوية الثقافية الأوربية

تتكوّن الثقلفة الأوروبية خصوصاً والغربية عموماً من سلسلة من الثقلفات المتداخلة والعرقيات المتنوعة والقوميات المختلفة المنتشرة على لمتداد للغرب سره، إذ لا يمكن أن تكون الهوية الثقافية لأمة من الأمم هوية صافية تماماً،غير منطوية على التعدد والتمايز في مجمل مكو تها الجزئية. ويتفق أغلب لمباحثين على أنّ الثقلفة الأوروبية، على لرغم من تعقدها البنيوي، تقوم على أسلسين ومصدرين للقيم المرجعية فيها هما: الحضارة اليو نية الرومانية، والدنة المسيحية، وقد حدد رئيس المفوضية الأوروبية الأسبق حاك ديلو هوية أورو بعاد ثلاثة: الد نة المسيحية، والقانون الروماني، والنزعة الإنسانية في الفلسفة اليو نية[2].

وتفنزض الدرلسة في هذا السياق، أن الهوية الثقافية الأوروبية تنطوي على إشكاليات مركزية، تمنحها صيغتها الخاصة وتمايزها من لهو ت الثقافية الأخرى،تلك الحاملة إشكاليات مختلفة وتحد ت مغايرة، ويمكننا أن نجمل هذه الإشكاليات بما يلي:

- عقدة المركزية (نحو جنون عظمة جماعي)
- القيم المسيحية؛ من الديني إلى السياسي
- الثنائيات الضدية كسمة ثقافية مهيمنة
- الثقافة المشتركة وتعويم الهوية
- القومية والغرب الحداثي.

وسنعمل فيما يلي على مناقشة تفاصيل هذه الإشكاليات، موضحين بنيتها، ومبينين مصادرها، وقدين تجلياتها التأثيرية.

❖ عقدة المركزية (نحو جنون عظمة جماعي)

2) Carlton J.H. Hayes. (1983). Christianity and Western Civilization ،Publisher ABC-CLIO.

أصر للغرب على اعتبار لليو ن نقطة للبدء لحداثي، سيساً ولستمرارية لنزعة التفوق الأوروبي، وقد ذهب للبعض إلى أنّ لليو ن لختزاع أوروبي، فلقد اختُزعت لليو ن المعجزة وفق غوذج التأصيل للغربي الساعي إلى تجسيد وهم تمركزية ذلته المتعالية، وقد أُعيدت كتلبة للتاريخ للغربي كمله عتباره نتاج مميزات الرجل الأبيض، كما صيغ ريخ لليو ن بوصفه الأصل للعرفي، والثقافي، والحضاري لهذا الرجل عبر عملية تملّك تراث الحضارة اليو نية ومصادرته، بغية التأكيد المزعوم على وحدة الحضارة الغربية انطلاقاً من مبدأ الوحدة والاستمرارية وأسطورة فكرة التقدّم المطرد"[3].

وكما يقول إيريك وولف في كتاب أورو ومن لا ريخ لهم: "يؤمن بعضنا نّ للغرب شجرة نسب تشير إلى أنّ لليو ن القديمة أنجبت روما، وأنّ روما أنجبت أورو المسيحية، وأنّ أورو المسيحية أنجبت عصر النهضة، وعصر النهضة أنجب لتنوير، ولتنوير ما لبث أن تمخض عن الديمقراطية السيلسية وللثورة الصناعية، لما الصناعة المتزاوجة مع الديمقراطية فسرعان ما تمكّنت من إنتاج الولا ت المتحدة الأمريكية، المجسدة لحقوق الإنسان والحرية والبحث عن السعادة"[4].

فنظرة الأوروبي إلى النموذج الثقافي لليو بي نظرة أحادية مغلقة تنكر تفاعل لليو ن الطبيعي والمنطقي مع الشعوب والثقلفات المختلفة في أثناء بناء نتاجها لهو تي للعرفي لخاص بها لذلك يغدو إنكار الأوروبي للتفاعل الثقافي لليو بي مع حضارات المشرق (على اختلافها متوسطية وآسيوية) وإلحاحه على تضخيم مفرزلته إنكاراً للحركة التاريخية الطبيعية، ودلالة على عقدة نفسية جماعية، تؤدي إلى تضخيم مفرزات الأ ، ونفي ثيرات الآخر فيها (جنون عظمة جماعي).

وتجدر الإشارة إلى أنّ نقد لتجليات المركزية الأوروبية لا يعني بحال من الأحول دعوتنا إلى مركزية أخرى مضادة، شرقية أو شرق أوسطية، مقلبة لهذه المركزية أو مماثلة لها، بقدر ما ندعو إلى تجاوز الفكر القائم على المركزية من أجل قيم حضارية جديدة، قائمة على التواصل الفاعل بين أقطاب الكون المتمايزة بقدر تعالقها وترابطها.

وقد لمتدت نزعة الاستعلاء العرقي الأوروبي لتشمل، أيضاً، الثقلفة الأمريكية، المتعلقة في جوهرها مع الثقلفة الغربية الأوروبية، فكان لهذه النزعة أثر كبير في رؤية الكتّاب الأمريكيين للشعوب المسلمة للتي احتكّوا بها. إذ لت أعراق للغرب للعربي جميعها—من عرب وأتراك وزنوج- حظها من التحيز العنصري في هذه الكتا ت، فقد وصف كوتون ماثر سلطان للغرب نّه شيطان أفريقي، وعبر عن تقززه من وجود عبيد بيض في شمال إفريقيا يسوسهم سيد عربي- إفريقي، إذ العبودية في عرفه خاصة لأفلقة السود،

3) عروسي، سهيل. (2022). حوار الحضارات بين الواقع والطموح. مجلة الموقف الأدبي. مج:31. عدد: 372. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ص. 157-161.

4) Wolf, Eric R. (1982). Europe and the People Without History. California: University of California Press. Chapter 1, pp. 3-23

والصورة الشيطانية نفسها لستخدمها المستعبد الأميركي السابق جون فوس في وصفه سكان الجزائر من الأتراك حيث كتب: "إنّ طريقة لبسهم ولُحاهم الطويلة تجعلهم أقرب إلى الشياطين منهم إلى البشر"[5].

❖ القيم المسيحية؛ من الديني إلى السياسي

لطالما كانت المسيحية وقيمها الدينية ركن القاعدة الثقافية الغربية، وفي مناسبات محددة، للركن الوحيد للهوية الأوروبية، خاصة عندما سعت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لبسط نفوذها الثقافي ومن ثم السياسي على الغرب الأوروبي. فقد ظلّ مفهوم العالم المسيحي قوة سياسية، ودافعًا قيمياً وفكرً وعقائدً، ذا تأثيراً مباشراً في مسيرة السياسية الأوروبية. حيث يشير إلى ذلك توماس ستيرنز إليوت الحائز على جائزة نوبل في الأدب في علاقة المسيحية وقيمها لثقافة الأوروبية بقوله[6]:

"المسيحية هي التي جعلت أورو على ما هي عليه، وهي التي جلبت لأورو العناصر الثقافية المشتركة، وفي المسيحية نشأت الفنون، و صلت قوانين أورو ، وليس لتفكير عن أورو معنى أو دلالة خارج الإطار المسيحي، قد لا يؤمن فرد أوروبي أنّ الإيمان المسيحي حقّ، ولكن ما يقوله ويصنعه و تيه كلّه من تراثه في الثقافة المسيحية، وإذا ذهبت المسيحية فستذهب كلّ الثقافة الأوروبية، ولو بدد أو طرحنا تراث أحداد من الثقافة المشتركة فلن يغنينا، ولن يقرب بيننا كلّ ما عند أبرع العقول من تنظيم وتخطيط".

لقد وظّف الدين المسيحي وقيمه الأخلاقية الخاصة توظيفاً سياسياً ثقافياً لتوحيد الكيان الأوروبي الممتد على مساحة هائلة من التمايزات والاختلافات، فأضحى أداة للترابط الأممي لشعوب مختلفة، وهذا طبيعي، فالجماعات المنتمية لتوجهات ثقافية متمايزة لابدّ لها من رابط ميتافيزيقي ديني قوي، يوحّدها ويضفي عليها طابعاً أممياً، وهذا الرابط الميتافيزيقي الديني في الغرب كان المسيحية المتحولة من دين خالص إلى أداة توظيف سياسي وثقافي ذي طابع أممي، فالغرب خلق أسطورته الخاصّة المؤدية إلى توحيد مختلف الشعوب والأمم في تلك المنطقة، وكان هذا الخلق معتمداً، في وجه من وجوهه، على البُعد الديني الماورائي[7].

❖ الثنائيات الضدية كسمة ثقافية مهيمنة

استعاضت المسيحية في العصور الوسطى عن معيار الفصل التقابلي في ثنائية (إغريق / بربرة) .بمعيار فصل آخر يقوم على ثنائية (مؤمنون/كافرون)، وهو فصل يعتمد على معيار الإيمان المسيحية دون سواها من

5) ميلاد، زكي. (2005). المسألة الثقافية: من أجل بناء نظرية في الثقافة. ط: 1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.

6) مصدر سابق. (ميلاد، 2005).

7) بلقيز، عبد الإله. (2017). نقد الثقافة الغربية: في الاستشراق والمركزية الأوربية. ط: 1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ص 287.

الأد ن، ويتملشى مع طبيعة المسيحية التبشيرية،للتي شنت لحروب الصليبية على خلفية الصور الميتافيزيقيةللتي بنتها متخيلات التمركز اللاهوتي وتعاليمه الكنسيّة. ومع النهضة الأوروبية دُعم التمركز العرقي، وبرز إلى الواجهة معيار التقدّم أو المدنية لفصل جديدبين الشعوب، حيثبدا للغربي صورة للتفوق، والصفاء، وللقوة. ثمبدأت، في العصر لحديث، حركة الأوبة (التغريب)للتي تحلت خضاع مجتمعات للعالم وشعوبه للنموذج الأوروبي،عبر مختلف أشكال الانتداب والاستعمار والسيطرة. وقد رأت للقوى المسيطرة في للغرب لحديث ضرورة إخضاع الشعوب للنموذج للغربي بوصفه النموذج الأمثل لمختلف الشعوب، واحتل للغربي (الرجل الأبيض)فيه القطب الأول في ثنائية (المتقدم/ المتخلف)للتي شكلت جوهر التفكير الميتافيزيقي الغربي الحديث[8].

تُعد الدنة المسيحية في نظر الفيلسيوف هيغل الدنة المطلقة متياز، فهي وحدها للقادرة على لستيعابلل د ت السابقة، إذقد انصهرت فيها أشكال التعبيرللديني كلّه فأصبح مضمونهاهو لحق المطلق. والقول نّ المسيحية تتضمن الحقيقة المطلقة يعني كذلك

فالغرب الأوروبي، خلال يخه الممتد، لم يتخلعن فكرة الثنائيات في أثناء تعاملهمع الآخر المختلف،بلكان ينتقلمن بنية ثنائيةما إلى بنية أخرى مغايرة، منسجمةمع المرحلة التاريخيةللتي وصل إليها، وهذه الثنائيات كلنت تُعلي، دائماً،من الأ الأوروبية، وتهمش الآخر للغايرللذي يقع علىطرف النقيض من بنيتها الثقافية[9].

والحقيقة أنّ الحياة لا تخلومن الثنائيات الضدية المركزية، لكنهذا لا يعني، بحالمن الأحوال، تهميش المنطقة الرمادية الواقعة في للفراغ الفاصلبن الثنائيات الضدية، كما لا يعني، أيضاً،عدم نقدهذا الفكر المتبني للصورة الثنائية، ذات الطرف الإقصائي، والمتعاملمن خلالهمعكلماهو مغايرله، وهذاما اكدته أحداث 11 سبتمبرعام 2001 وظاهرة التمايز المتطرفللتي تبناهاللرئيس الأمريكي جورجبوش الابن في حربه المزعومة على الإرهاب (من ليس معنا فهو ضد)[10].

❖ الثقافة المشتركة وتعويم الهوية

وفقًا للمؤرخ هيلير بيلوك، اعتمدت شعوب أورو لقرونعدة في تحديد هويتها الثلتية الجامعة على لأمرين[11]؛ أولهما: آ رما تبقىمن الثقافة الرومانية، و نيهما: مفهوم للعالم المسيحي. فقد وضع اليو نيون

8) إبراهيم. عبد . (1997). المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات. ط: 1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ص: 13-49.

9) نفس المصدر، (إبراهيم، 1997).

10) عن موقع قناة ال بي بي سي الإخبارية: http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1642000/1642259.stm

11) Belloc, Hilaire. (1930). Europe and the faith. Ed. 4. The Paulist Press. New York.

أسس الثقافة الأوروبية، وعززها الرومان، واستقرت وتشكّلت من خلال المسيحية، وأُصلحت خلال عصر النهضة والإصلاح البروتستانتي في القرن الخامس عشر، وحُدّثت خلال القرن الثامن عشر في عصر الأنوار، وفي النهاية نُشرت عالمياً، عقب عصر الاستكشاف والثورة الصناعية، على يد الإمبراطور ت الاستعمارية، التي عوّمت ثقافة الأوروبيين وغطت حياتهم خلال فترة القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين، خاصة إ ن سيطرة الدول الأوروبية على الأمريكتين، ومعظم أفريقيا وأوقيانوسيا، ولأجزاء كبيرة من آسيا ما أدى إلى انتشار الثقافة الأوروبيَّة عالمياً.

الثقافة الأوروبية متجذرة بشكل كبير، وغالبًا ما يُشار إليها بـ "التراث الثقافي المشترك"، ونظراً لوجود عدد كبير من وجهات النظر التي يمكن اتخاذها في هذا الموضوع، فإنّه من المستحيل تشكيل مفهوم موحد حول الهوية الثقافية الأوروبية، ومع ذلك، هناك عناصر أساسية يُتفق، عموماً، على أنّها تشكل الأساس الثقافي لأورو الحديثة، من بينها قائمة من هذه العناصر الأساسيّة التي شكّلت مفهوم الثقافة الأوروبية، والمشتملة ما يلي[12]:

- التراث الثقافي والروحي المشترك المستمد من العصور القديمة.
- الثقافة المادية الغنية التي وُجّهت إلى القارات الأخرى نتيجة التصنيع والاستعمار.
- تصور عن الفرد يُعبر عنه حزام الوجود والشرعية التي تضمن حقوق الإنسان.

❖ القومية والغرب الحداثي

كانت الشعوب الأوروبية تنطوي تحت الحضارة المسيحية الغربية، وكانت اللغة السائدة في الغرب هي اللغة اللاتينية، وكانت المسيحية هي الهوية الثقافية المشتركة، وفي عصر النهضة تبنت أورو اللغة اليو نية القديمة والحضارة الرومانية، بعد ذلك احتلت الحضارة الفرنسية المكان الأول لدى الطبقة المثقفة في أورو كلّها. ومنذ نهاية القرن الثامن عشر أصبح المنظار إلى الحضارة منظاراً قومياً، وأصبحت اللغة القومية وحدها هي لغة الحضارة للأمة، لا سواها من اللغات الكلاسيكية أو لغات الشعوب الأكثر حضارة، وهنا سادت "النزعة القومية" في أورو [13].

فمنذ استخدم جويسيبي ماتزيني للزعيم والسياسي القومي الإيطالي مصطلح "النزعة القومية" للمرة الأولى نحو عام 1835 م، ومنذ تنبه المؤرخون والسياسيون لدلالته المهمّة في الثقافة الغربية، احتل مفهوم القومية مكانة رزة في الفكر السياسي والتاريخي والاجتماعي والثقافي الغربي، ولكن تناقض دلالته واختلاف للدور التاريخي والاجتماعى والفكري للنزعة القومية نفسها هو ما أ ر الاهتمام غالباً قال

12) Previous Reference. (Belloc. 1930).

13) المسيري، عبد الوهاب. (2002). الإنسان والحضارة. دار الهلال. القاهرة.

ماتزيني: إنّ القومية هي انتماء جماعة بشرية واحدة قلوبها واحد، شريطة أن يجمعها تاريخ مشترك ولغة واحدة في أرض هذا الوطن، وأضاف العلماء الألمان وعلى رأسهم هيردر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحدة الثقافة النابعة من وحدة اللغة، ووحدة مصادر التأثير الروحي النابعة من الدين، والتراث الثقافي الواحد في اللغة الواحدة، ثم أضاف الماركسيون أسساً أخرى للقومية أهمها: وحدة التكوين النفسي، ووحدة السوق الاقتصادية[14].

يتسم التشكيل القومى في أوروبا الغربية، والولايات المتحدة، بظهوره في مرحلة لم يكن هناك تشكيلات قومية (بالمعنى الحديث) في آسيا وإفريقيا، تتحداه حضارةً أو عسكرةً، وانطلاقاً من نماذج إدراكية اختزالية تتسم بدرجة عالية من التجانس والتحدُّد تكاد تقترب من الانغلاق على الذات، ويُلاحظ أنّ صياغة رؤية الجماعات القومية في غرب أوروبا لنفسها استغرق وقتاً طويلاً، صُهرت خلاله الأقليات الإثنية التي لا تنتمي للأسطورة القومية، ثم ظهرت الإمبريالية، فزادت من حدة الأسطورة، وعدوانيتها، وتجانسها، وانغلاقها، وأضافت لها مقولات التفوق والنقاء العنصري التي تختزل الآخر في عنصر واحد متدنٍ، يمكن تحويله إلى مادة استعمالية[15].

وحينما بدأت التشكيلات القومية في شرق أوروبا ووسطها أخذت طابعاً أكثر تطرّفاً في صيغتها السلافية والجرمانية، حيث طُرحت الفكرة القومية بوصفها انتماء عضوياً يكاد يكون بيولوجياً. لقد قامت الثورة القومية في الغرب تحت راية الطبقة المتوسطة وقيمها، وبخاصة الملكية الفردية والعقد الاجتماعي، وقد ترجم ذلك نفسه إلى رؤية للتاريخ تتسم بالتجانس والتحدد، وتركز على أهمية الغرب في العالم ومركزيّته، وأهمية كلّ ذات قومية ومركزيتها، فمجَّد البريطانيون الذات البريطانية، في حين مجّد الألمان الذات الألمانية، وفي هذا الإطار ظهرت أسطورة الإنسان البدائي، والإنسان غير المنطقي، ولا عقلانية الشعوب المتخلفة، وعُزلت الحضارات بعضها عن بعض الآخر، وعُرِّف التاريخ بأنّه ما هو مكتوب فحسب، ثم قُسِّم إلى فترات محدَّدة، تتحرك نحو هدف محُدِّد مسبقاً يكون، عادةً، تحقق الذات القومية الضيقة، والمتجانسة، والمحددة، ويصل هذا الاتجاه إلى ذروته (أو هوته) في الأسطورة النازية، ثم بعد ذلك في الأسطورة الصهيونية، فكلاهما مجَّد الذات القومية واستبعد الآخر تماماً[16].

14) مصدر سابق. (المسيري، 2002).

15) نفس المصدر. (حاطوم. 1979).

16) مصدر سابق. (المسيري، 2002).

التحولات السياسية منذ بداية القرن العشرين وأثرها في الهوية الثقافية الغربية:

نشأت القوميّة في أور في للقرن التّاسع عشر بين الشعوب للتي تشترك في اللغة وللتاريخ والثقافة. أدّت هذه الحركة القومية النلشئة إلى سيس دولتين نتيجةً لتوحّد عدّة دويلات صغيرة على للمبادئ القوميّة هما: (ألمانيا وإيطاليا)، وأضعفت هذه للدّول القوميّة الإمبراطورّت الموجودة في الجهة الشرقيّة من النّمسا (الإمبراطورية النمساوية والمجرية، وروسيا القيصرية، والدّولة العثمانيّة)، وكانت هذه الإمبراطور ت تحكم مجموعات عرقيّة متنوعة، تناضل جميعها من أجل الاستقلال وإشباع نزعتها التحررية المبنية على أساس قومي وعرقي، وكانت الصّراعات بين المجموعات القوميّة متفجّرةً في دول شبه جزيرة البلقان في الجنوب الشرقيّ لأورو ، لأنّ شعو ًكثيرة من البلقانيين كانت جزءاً من الدّولة العثمانيّة[17].

a) الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918م)

نتيجة النضال للقومي الطويل لشعوب البلقان، وخلال للفترة من 1821 إلى 1913م حصلت عدّة دول على الاستقلال، منها: (لليو ن، والجبل الأسود، وصربيا، ورومانيا، وبلغار ، وألبانيا)؛ وقد نشبت للتوتّرات عندما احتكّت كلّ دولةٍ مع جيرانها بشأن الحدود، وانتهزت الإمبراطوريتان النمساوية المجرية وروسيا القيصرية ضعف الدّولة العثمانيّة لتزيد من نفوذهما في البلقان، فبدأ التّنافس الاستعماري للسّيطرة على البلقان، عندها قادت صربيا حركة لتوحيد العنصر السّلافي في المنطقة، فأيدت روسيا للتي تُعدّ من أقوى للدّول السلافيّة صربيا، لكنّ الإمبراطورية النمساوية المجرية خشيت من القوميّة السلافية لأنّ ملايين السلاف يسكنون فيها، وفي عام 1908م ألحقت الإمبراطورية النمساوية المجرية البوسنة والهرسك مبراطوريّتها، ممّا أدّى إلى إغضاب صربيا للتي كانت تسعى للسّيطرة على تلك الأراضي للتي كان يعيش فيها الكثير من الصرب، فحدثت عملية الاغتيال الشهير قولي عهد النمسا وزوجته في أثناء ز رهما لسرايفو على يد طالب صربي، مما أدى إلى اندلا ع الحرب العالمية الأولى في عام 1914م[18].

جمعت هذه الحرب كافة للقوى العظمى حينها، وللتي انقسمت إلى مجموعتين: (قوات الحلفاء) الوفاق الثلاثي، وهم: المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى، وفرنسا، والإمبراطورية الروسية، و(دول المركز) الإمبراطورية الألمانية، والإمبراطورية النمساوية المجرية، والدولة العثمانية، وقد توسعت هذه التحالفات وكبرت مع ازد د عدد الدول المشاركة في الحرب.

تبنى الأتراك والألمان إستراتيجية عرفتها الحروب القديمة وللتي يمكن التعبير عنها لجملة القائلة: ,,عدو عدوي، صديقي''. إذ تمحورت استراتيجية ألمانيا والدولة العثمانية حول التلاعب لتناقضات

17) الموسوعة العربية العالمية.(1999). مجموعة من الباحثين. ج: 9. ط: 2. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. الر ض. ص: 196-213.

18) مصدر سابق. (الموسوعة العربية العالمية.1999). ص: 196.

الدينية، والإثنية، والسياسية في المناطق الخاضعة للقوى المعادية.هدف خلق ثورات فيها، ولم تنحصر هذه الاستراتيجية في الشرق الأدنى، فقد حاول عملاء الإمبراطورية النمساوية المجرية ليب اليهود للقيام بثورة ضد روسيا في القسم البولندي الخاضع لها، وفي إيلندا دعمت المخابرات الألمانية المتمردين الكاثوليك وفي روسيا الشيوعيين، وفي الشرق الأدنى ساهم الألبان والنمساويون والأتراك في "الجهاد الإسلامي" ضد بريطانيا وحلفائها. لمقابل لم يجلس الإنكليز والفرنسيون دون تحرك مماثل، فقاد الإنكليز تحركاً قوياً لتأليب العرب على العثمانيين و حيج للروح القومية والعرقية لهم، مما أدى إلى ثورة الشريف حسين ضد العثمانيين "للثورة العربية الكبرى" عام 1916م. في النهاية فإن أكثر من 70 مليون من الأفراد العسكريين من بينهم 60 مليون من الأوروبيين احتشدوا للمشاركة في واحدة من أكبر المعارك في التاريخ، حيث تُقدر خسائر الحرب العالمية الأولى كثر من 9 ملايين جندي و7 ملايين مدني، وانتهت بهزيمة دول المركز في عام 1918م، وفي نهاية الحرب انهارت ثلاث امبراطورت كبيرة في أورو ، وهي: الامبراطورية الروسية، والإمبراطورية النمساوية– المجرية، والإمبراطورية العثمانية، وبعد أن وقّعت هذه الإمبراطور ت المنهارة معاهدات السلام تقاسمت الدول المنتصرة أراضيها ومستعمراتها[19].

b) الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945م)

لم يدم السلام في أورو طويلاً، حيث اعتُبر السلام الناتج عن مقررات مؤتمر ريس للسلام لسنة 1919م إهانة كبرى لألمانيا، لأنّ معاهدة فرساي مزقت وحدتها الإقليمية، والبشرية، والاقتصادية وسلبت منها مستعمراتها كلّها، كذلك أدى هذا المؤتمر إلى خيبة أمل كبرى لنسبة لإيطاليا، لأنّه تجاهل طموحاتها وتوسعها الاستعماري. وقد ترتب على هذا السلام المنقوص بروز عدة مناطق توتر بسبب حج الشعور القومي، كما تغيرت موازين القوى من جديد، فظهرت للولا ت المتحدة الأمريكية بوصفها قوة اقتصادية كبرى في العالم حدّت من قوة بريطانيا، وعلنت دول أورو كلّها من الأزمة الاقتصادية العالمية (الانهيار العظيم) للذي امتد من 1929 – 1932م، وظهرت في الساحة الأوربية قيادات ديكتاتورية، رسخت للروح القومية والتمايز العرقي وللوطني بين شعوبها، فتولى الحكم كلٌّ من: بنيتو موسوليني قائد الحزب الفاشي في إيطاليا في عام 1922م، وأدولف هتلر رئيس حزب العمال الألماني (للنازي) في عام 1933، وانتهت الحرب الأهلية الأسبانية، للتي بدأت في عام 1936م وكلفت نصف مليون من البشر، بفوز

19) مصدر سابق. (الموسوعة العربية العالمية.1999). ص: 197-213.

للقوميين بقيادة الجنرال فرانسيسكو فرانكو، وبمساعدة كل من هتلر وموسوليني للذي حكم لمدة 36 عاماً[20].

لذلك يُعتبر السلام المنقوص سنة 1919م وما خلفه من ضغائن وأحقاد أثرت في الشعور القومي والعرقي من الأسباب العميقة للحرب العالمية الثانية، التي اندلعت في 1 سبتمبر 1939 م إثر الغزو الألماني لبولندا، وهي نزاع دولي مدمر استمر حتى عام 1945م، شاركت فيه الغالبية العظمى من دول العالم، في حلفين رئيسيين، هما: قوات الحلفاء (الولا ت المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، والاتحاد السوفيتي) ودول المحور (ألمانيا، وإيطاليا، واليا ن)، وظلت فيها أسبانيا، والسويد، وسويسرا، والبرتغال، وتركيا على الحياد. وتُعد الحرب العالمية الثانية من الحروب الشمولية، وأكثرها كلفة في ريخ البشرية لاتساع بقعة الحرب، وتعدد مسارح معاركها وجبهاتها، حيث شارك فيها أكثر من 100 مليون جندي، وتسببت بمقتل ما بين 50 إلى 85 مليون شخص ما بين مدنيين وعسكريين، أي ما يعادل 2.5% من سكان العالم في تلك الفترة التاريخية[21].

ومنذ بداية الحرب ارتكبت القوات النازية والحليفة المجازر التي راح ضحيتها ما يقارب 10 ملايين شخص من الأقليات الدينية والعرقية، والمثليين جنسياً، والمجرمين، والمعاقين جسمانياً أو عقلياً، والشيوعيين، والليبراليين، والمعارضين لفلسفة النازية، وشهود يهوه، واليهود، الذين كانوا بحسب النازية من طبقة "دون البشرية"، وسُميت هذه المجازر بالهولوكوست. و نتهاء الحرب قسّم كلٌّ من: الولا ت المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والاتحاد السوفيتي ألمانيا إلى أربع مناطق محتلة، وأصبحت المنطقة التي احتلها الاتحاد السوفيتي في عام 1949 م جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وكوّنت الثلاث مناطق الأخرى جمهورية ألمانيا الاتحادية، وخرجت الولا ت المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من الحرب بوصفهما دولتين عُظمتين[22].

c) الحرب الباردة (1947 – 1991م)

تحت تأثير الخطر المشترك (دول المحور) تحالفت الإيديولوجيتان الرأسمالية والاشتراكية خلال الحرب العالمية الثانية، ومع نهاية الحرب وزوال هذا الخطر المشترك تجدد الصراع بين المعسكرين في إطار جديد عُرف بالحرب الباردة، وهي صراع إيديولوجي واستراتيجي بين المعسكرين، حيث انقسم الغرب إلى قطبين من الناحية السياسية والاقتصادية، وشكّلت ألمانيا الشرقية، وبولندا، ورومانيا، وبلغار ، وتشيكوسلوفاكيا

20) مصدر سابق. (الموسوعة العربية العالمية.1999). ص: 214-244.

21) مصدر سابق. (الموسوعة العربية العالمية.1999). ص: 214-244.

22) مصدر سابق. (الموسوعة العربية العالمية.1999). ص: 214-244.

حلف وارسو "الكتلة الشرقية" تحت قيادة الاتحاد السوفيتي، وشكّلت بريطانيا العظمى، وفرنسا، وإيطاليا، وأسبانيا، والبرتغال، وتركيا حلف شمال الأطلنطي "الكتلة الغربية" وذلك بقيادة الولا ت المتحدة الأمريكية، وبدأ يتبلور حومن للتوتر المتصاعد والمستمربين الكتلتين الشرقية والغربية لتسمى فترة للتوتر هذه سم "الحرب الباردة"[23].

وقد انعكست الحرب للباردة على الثقلفة الغربية برمتها،من خلال هيمنتها على أنشطة الحركة الثقلفية كلفة:من موسيقى، وأفلام، وكتب، وتلفزيون، وصحافة، ور ضة، ومعتقدات اجتماعية، وسلوك عام. ومن أبرز مظاهر هذه الحرب للباردة الفضاء، والجاسوسية، والتسلّح للنووي، كما اتخذت هذه الحرب الكثير من الأعمال والأنشطة غطاءلها، سواء بشكل مبلشر أم غير مبلشر. ويُعد "حدار برلين" أحد نقاط التحول المهمّة في الحرب للباردة، وللذي أُقيم لتجنب هروب مواطني ألمانيا الشرقية للغرب في عام 1961م، كما أنّ قمع دول وارسو لربيع براغ، حركة التحرر الديمقراطية للتي قادها الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي في عام 1968م، لقوقد زادمن حدة للتوتربين لجانبين، وغيرها الكثير من الحروب الجانبية وغير المبلشرة للتي حدثت بين طرفي الصراع في الكتلتين؛ كحرب الكوريتين، وحرب فيتنام، والاجتياح السوفيتي لأفغانستان، وللتي لعب فيها الطرفان، بصورة معقدة، لعناصر القومية، والإيديولوجية، والدينية، والعرقية للشعوب المتصارعة لتحقيق مصالحهما، وهزيمة الخصم من خلال حسر نفوذه على أرض للغير، ذلك كلّه على حساب دماء الشعوب ومقدراتها،للتي كلنت أراضيها مسرحاً لصراعات الحرب الباردة[24].

انتهت حقبة الحرب للباردة بسقوط حدار برلين عام 1989م وانهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991م، وفي نهلية هذه الحرب تصاعد ظهور الحركات القومية مرة أخرى، حيث أدى ذلك إلى حدوث انقسامات كبيرة في لتحادات للدول الاشتزاكية والشيوعية للتي كلنت قائمة، بعض هذه الانقسامات مرت بسلام كانقسام تشيكوسلوفاكية 1993م، في حين أنّ قسماً منها كان دمو ً كتفكك يوغسلافية 1992م، حيث لقي ما يقرب من مئتي ألف شخص حتفهم في حرب البوسنة، واضطر مئات الآلاف من للناس إلى الهجرة، كلنت ذخيرة هذه الحرب وبميل للبارود فيها كثرة الاختلافات بين شعوب المنطقة، فمن الاختلاف العرقي (صرب وكروات وبوسنيين "ألبان") إلى الاختلافات الدينية (مسلمين ومسيحيين) ثم الاختلافات الطائفية (أرثوذوكس وكاثوليك)، ولم تتوقف الحرب إلا بسبب للتدخل العسكري المبلشر لحلف شمال الأطلسي، ولتفاق دليتون 1995م، ورغبة أورو في إنهاء هذا الصراع للذي ألقى

23) Gaddis, John Lewis. (2005). The Cold War; a new history. The penguin press. New York.

24) Saunders, Frances Stonor. (2013). The Cultural Cold War: The CIA and the World of Arts and Letters. Ed. 2. The New Press. New York.

بثقله عليها. لما تفكك جمهور ت الاتحاد السوفيتي عام 1991م فقد كان أكثر دموية، إذ كلنت خلافاتها العرقية، والقومية، والدينية، وحتى الطائفية حاضرة بقوة كبيرة، فشهد العالم تلك الصراعات بين كلٍّ من: (أرمينيا وأذربيجان، وأوسيتيا وأنغوشيا، وأبغاز وأسيتيا الجنوبية، ثم الحرب الشيشانية الأولى والثانية بين كلٍّ من الروس والشيشان)[25].

d) تشكل الاتحاد الأوربي عام 1992م

خرجت أورو من الحربين العالميتين الأولى والثلنية منهارة اقتصاد ً، ومجزأة سياسياً، وفلقدة دولها للدور للر دي على المستوى العالمي لصالح للولا ت المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، ولذلك فكرت دولها الغربية الرأسمالية لاتحاه نحو التعاون، ثم الاتحاد، ثم الاندماج الكلي الشامل. فانطلقت الفكرة بتكوين المجموعة الأوروبية للفحم والصلب عام 1951م، ثم السوق المشتركة الأوربية عام 1957م وفق ما يُعرف تفلقية روما، وبعد انتهاء الحرب للباردة وتوحيد شطري ألمانيا خلصت إلى تكوين الاتحاد الأوربي في عام 1992م، بناء على اتفلقية معروفة سم معلهدة ملسنزخت، وللذي أصبح يضم 28 دولة، كلنت آخرهم كرولتيا، للتي انضمت في عام 2013م. وفي عام 2016م أحرت بريطانيا استفتاء شعبياً حول خروجها من الاتحاد الأوروبي، وقد جاءت نتيجة الاستفتاء بتأييد نسبة كبيرة من الشعب لانفكاك بريطانيا عن هذا الاتحاد؛ إذ بدأت أنمات الاتحاد الأوروبي تشكّل عبءً على للمواطن البريطاني، وهذه النتيجة الاستفتائية أ رت مخاوف زعماء للدول الأوروبية، إذ بينت الفجوة الهائلة بين مفرزات هذا الاتحاد وتطلعات الجماهير الشعبية لماهية مفرزاته الممكنة[26].

ومن هنا فإنّ قيام الاتحاد الأوروبي لا يمكن فهمه إلا على خلفية من للتاريخ الكارثي لأورو في النصف الأول من للقرن العشرين، فالحربين للعالميتين، والكساد الكبير بينهما، حطم، في الماضي، إمكلنية قيام وحدة أوروبية. وصعود النلزية والفلشية والستالينية، على وجه الخصوص، قلب ثورة التنوير رأساً على عقب مما جعل أورو مركزاً للهمجية والوحشية، إذ لم يكن المتطرفون الإسلاميون أو الصين أو للقوى الأخرى غير الغربية معطلي السلام العالمي، بل أورو قبل كل شيء.

قام الاتحاد الأوروبي، في جوهره، على أسس مشروع السلام الكانطي، في محاولة لإنشاء اتحاد سلمي للدول الأوروبية للتي كلنت في حالة حرب مع بعضها للبعض لقرون عدة، وللتي بلغت أشدها في النصف الأول من للقرن العشرين. ولقد سس الاتحاد الأوروبي في مفهومه الفكري على الرؤية المستندة إلى أورو المتكاملة في سوق اقتصادي واحد، وقواعد مشتركة، وإطار عام لحقوق الإنسان، توفر للدول الأوربية

25) Previous Reference. (Saunders. 2013).

26) Fossum, John Erik. Philip R. Schlesinger. (2007). The European Union and the Public Sphere. 1st Edition. Routledge. London.

الازدهار من خلال الالتزام الشامل لقواعد الديمقراطية ومعايير حقوق الإنسان، وإعادة تشكيل القوة والسلطة من الأعلى إلى الأسفل وفق ترتيب يحترم فيه كل مستوى الآخر: (الهيكل فوق للوطني للاتحاد الأوروبي، للدول القومية، للمدن والأقاليم تحت الوطنية)، دون تفضيل قومية أو لغة على أخرى، من خلال الثقافة السياسية المشتركة للديمقراطية، والأسواق، والعدالة الاجتماعية[27].

e) نحو مساءلة مصداقية القيم المؤسسة للاتحاد الأوروبي

ت يشكك الكثيرون في مصداقية للقيم التي أُسس عليها الاتحاد الأوربي، خاصة مع ازد د موجات العنصرية، والكراهية للأجانب، والإسلاموفوبيا، وتثير ذلك كلّه في سياسات الاتحاد الأوربي التي اتسمت لتخبط في الكثير من الملفات، خاصة ملف الهجرة والمهاجرين غير الشرعيين، وملف الربيع العربي الذي اجتاح منطقة الشرق الأوسط، وأخيراً وليس آخراً ملف انضمام تركيا للاتحاد.

فإذا توقفنا عند ملف الهجرة والمهاجرين غير الشرعيين نجد أنّ أورو ، ولاسيما ألمانيا، استقبلت عدداً كبيراً من المهاجرين للقادمين من سور بسبب الأوضاع التي آلت إليها البلاد إ ن أحداث ثورات الربيع العربي، ويبدو أنّ هذا الاستقبال لأمر إيجابي ينسجم مع قيم الاتحاد الأوروبي القائمة على إعلاء القيم الإيجابية والالتزام بمساندة الآخر المتعرّض لظروف لاإنسانية، لكننا إذا دققنا في تفاصيله سنلحظ وجود إشكاليتين مهمّتين؛ الأولى: حصر الهجرة الشرعية بفئات اجتماعية محددة، تنتمي إلى أقليات دينية سورية، ولا سيما الأقلية السورية المسيحية، وترك المجموعات الاجتماعية الأخرى للهجرات غير الشرعية للتحكم بها تجار البشر، وهو ما يؤكد مركزية الهوية المسيحية لأور للتي تكلمنا عنها. والثلنية: اعتبار المهجرين غير الشرعيين الواصلين للدول الاتحاد الأوروبي المسبب الأبرز لمشاكل الاتحاد، مما يسهم في انتهاك واضح لحقوق اللاجئين، ويعمم الكراهية والحقد ضدهم، بصورة تزعزع السلم المجتمعي للدول المستضيفة لهم، أضف إلى ذلك أنّ هذا السلوكيات لا تنسجم مع قيم الاتحاد الأوروبي القائمة على المساواة بين مختلف الإثنيات والعرقيات، وحفظ حقوق الآخر الإنسانية، فهنالك فجوة بين المستوى الفكري لهذه القيم والمستوى التفاعلي السلوكي[28].

وإذا انتقلنا إلى ملف الربيع العربي، للذي احتاح منطقتنا نتيجة حلحات سياسية واقتصادية حُرمت منها لهيمنة الأنظمة الشمولية، والتي تكرس نهجاً ديكتاتوراً قمعياً يلغي القواعد الأساسية لحقوق الإنسان، سنجد أنّ هذه الشعوب رت على حكّامها وأنظمتها لتحقيق صيغة تعاقدية جديدة تلبي

27) Previous Reference. (Fossum. 2007).

28) مجموعة من المؤلفين. (2019). ظاهرة الهجرة كأزمة عالمية بين الواقع والداعيات؛ أعمال المؤتمر الدولي الأول. . ط. 1. ج. 1. المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية. برلين.

مطالبها، ورفضاً للصيغة القائمة ما قبل الثورية، حيث تحدر الإشارة إلى أنّ هذا الوضع ما قبل الثوري الذي كلنت تعيشه المنطقة موازٍ، تقريباً، لوضع للدول الأوروبية قبل تشكّل الاتحاد الأوروبي، إلا أنّ موقف أغلب دول الاتحاد الأوروبي اتّسمت لضبابية وعدم للقدرة على لتخاذ موقف حازم نهائي من أعمال القمع والعنف وتلك لمحازر أحيا ً للتي تعرض وتتعرض لها هذه الشعوب المطللبة بحقوقها الطبيعية، بل إنّ بعض زعماء دول الاتحاد ساندوا بشكل واضح الأنظمة القمعية ودعموها، متحاوزين تحاوزاً فحاً مجمل للقيم المؤسسة للاتحاد، فكلنت العلاقة بين أنظمة الحكم العربية وأنظمة الحكم الأوروبية علاقة موالاة، فالأنظمة الأوروبية تقف دون حراك لأمام التحاوزات اللاإنسانية المستمرة للأنظمة العربية، والأنظمة العربية بدورها تحقق المطالب الاقتصادية للأنظمة الحاكمة الأوروبية[29].

f) أحداث الحادي عشر من أيلول الهوة بين الفكري والسلوكي:

تُعتبر أحداث لحادي عشر من سبتمبر عام 2001م، أحدا ً ريخية استثنائية في لعالم عموما ً ولولا ت المتَّحدة الأمريكية وللغرب الأوروبي خصوصاً فيما بتعلق بتأثير السيلسة وتعالقلها الأخلاقية على الهوية الثقافية، ففي العقود الأخيرة الماضية، كلنت للولا ت المتحدة للداعم الأكبر لأقصى غاذج التشدد الإسلامي، والحليف الأبرز للمجلهدين الأفغان ضد للغزو السوفياتي، وكان هذا التحالف المرحلي يدخل ضمن السيلسة الأميركية لمحلبة الشيوعية على مستوى لعالم، والوقوف في وجه الأنظمة القومية الثورية في المنطقة العربية، وما أن حدثت أحداث 11 سبتمبر حتى تحولت هذه السيلسة، وقادت للولا ت المتحدة حر ً سم مكافحة الإرهاب، متهمة الإسلام والمسلمين ليل إلى العنف والإرهاب بموجب معتقداتهم الدينية، وقد جاء ظهور تنظيم القاعدة ليثير التساؤل لدى للغرب عن أسباب العنف للديني لعابر للقارات، ووُجهت التهمة إلى حركات الإسلام السيلسي كلفة، وصار يُنظر إليها عتبارها حركات إرهلبية، ولمتدت النظرة في بعض الأحيان لتشمل للبلاد العربية والإسلامية للتي اتُهمت نّ ثقافتها تحبذ العنف، وترفض القيم الغربية الإنسانية، وتحارب الديمقراطية وحقوق الإنسان.

لقد اعتمدت أمريكا في كيد هذه النظرة التطرفية للجلنب للديني الإسلامي على بعض الأراء النزلثية الشاذة، إذ نمطتها وسحبتها على الثقلفة الإسلامية ككلّ، متجاهلة شذوذها، وابتعادها عن الثقلفة الإسلامية العمومية، للتي تتعلمل بها للذات الثقلفية الإسلامية في حيلها اليومية، ولقد أدت هذه الأحداث والتطورات السابقة لها في الجلنب الفكري إلى لنفراد النظام الرأسمالي بقيادة لعالم، وبدأ هذا النظام يقدم نفسه عتباره المؤهل لهذه القيادة الانفرلدية، ولابدّ من تعميم ثقلفته وقيمه على الآخرين، فحضارته قد

29) أسبورغ، مور ل. (2017). الاتحاد الأوربي والربيع العربي: البيان مقابل السياسية. العدد 26. مجلة سياسات عربية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. ص 47 -66.

انتصرت ثقافياً وإنسانياً، ويجب الأخذ بها، وتبني مبادئها وقيمها، كما روج لذلك فرنسيس فوكوما في كتابه "نهاية التاريخ"[30].

أعادت أحداث 11 سبتمبر الحديث من جديد عن صراع الحضارات الذي أشار له صمويل هنتنغتون من قبل، وتقترب محاور هذا الصراع الحضاري من المفهوم نفسه للذي طرحه، حيث صار الحديث عن انقسام العالم إلى عالم الخير للذي تمثله حضارة الغرب، وعالم الشر للذي تمثله بعض الدول العربية والإسلامية الملوقة وغيرها من الدول المعارضة للتوجهات الرأسمالية الأميركية. حيث حاولت أميركا بعد أحداث سبتمبر/أيلول صياغة خطاب أخلاقي تملي بواسطته على شعوب العالم تعريفها لمفهومي الخير والشر، وتحدد من هي الدول والقوى الصالحة والأخرى الطالحة، واتجه الفكر الأميركي نحو إطلاق أحكام أخلاقية ذات طابع ديني، منها على سبيل المثال استخدام جورج بوش الابن مفهوم الحرب الصليبية للذي تراجع عنه فيما بعد، وذلك في محاولة لتبرير شن الحرب واستخدام القوة العسكرية، والإصرار على تبرير الحرب على أفغانستان وطالبان، عتبارها ضرورة أخلاقية تصل إلى مرحلة القداسة الدينية للرد على العنف والكراهية للذي تمثله للقوى الشريرة ، وذلك نقيض للفكر الأميركي للذي كان سائداً قبل ذلك وللذي كان يحاول تبرير الحروب على أساس مبادئ الحرية، والديمقراطية، والمصالح للتي تمثل أساس الحضارة الغربية. وقد توسعت النظرة الأميركية لأهمية الايديولوجيا في حربها على الإرهاب، وبدأ التركيز على ضرورة للتدخل في الجوانب الثقافية والتعليمية للشعوب الأخرى، خاصة العربية والإسلامية، لمنع ظهور للتيارات الدينية التي تقف موقف النقيض من ثقافة العولمة وتعمل على التصدي لفكر الغرب وحضارته[31].

كشفت أحداث 11 سبتمبر/أيلول عن الهوة الواسعة بين للمبادئ للتي تنادي بها للولا ت المتحدة بشأن النظام للدولي الجديد عا يمثله من سيادة روح الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتعاون للدولي لحل المشكلات بصورة سلمية، والممارسات الواقعية للتي تقوم على تقييد لحر ت، وتجاوز حقوق الإنسان، وتجاهل حقوق الأقليات من للمواطنين والمقيمين، فقد جرى التحقيق مع آلاف الأشخاص أغلبهم من للعرب والمسلمين، وتوليدت النزعات العنصرية ضدهم. وتظهر هذه السياسة على المستوى الأميركي عبر عدة ممارسات منها تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة المتهمين عمال الإرهاب، وصدور قانون حرية التفتيش والاحتجاز، وفرض رقابة ذاتية على وسائل الإعلام[32].

30) نظام، بركات. (2004). تداعيات أحداث سبتمبر على النظام الدولي. موقع الجزيرة: www.aljazeera.net.

31) مصدر اسبق. (نظام، 2004).

32) موران، إدغار. (2005). ثقافة أور وبربريتها. ت: محمد الهلالي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء.

السياسات الغربية و ثيرها في توليد صراع الهوية الثقافية والعنصرية

يظهر جلياً،من خلال السرد للتاريخي المختصر للذي أجريناه لأهم الأحداث السياسية للتي مر بها للغرب عموماً وأور على وجه الخصوص خلال للقرن الماضي، كيفية ثير السياسات المنتهجة للمنظومات الحاكمة في الثقافة وللقيم الغربية ككل، الأمر للذي ألقى بظلاله بصورة داكنة على الهوية الغربية للتي كانت في أحيان كثيرة مسلوبة الإرادة، ومنقادة لسلطة السياسيين وأيديولوجيا للقوى المسيطرة،لذا خضعت لتحولات كبيرة في ذلقا الثقافية، وقيمها الأخلاقية، وإدراكها، وانتمائها، وعنصريتها وتضادهلمع الآخر. الأمر للذي أدى إلى ظهور بعض الظواهر العنصرية للتي علشتها الهوية الغربية، فكان لها ثقلها على الشعوب والجملعات للتي علنت لحظات الثمللة للتي علشها للغرب عن كل للقيم وللبادئ الإنسانية السامية من الكرلمة، والحرية، وحقوق الإنسان،للتي ضل كثيراً لبلوغها والتمتع بها. وسنستعرض هنا بعض هذه الظواهر مع تركيز على ظاهر فخر المذلية كظاهرة انموذجاً.

a. معاداة السامية (Anti-Semitism)

تعود أصول معاداة السامية إلى المسيحية ولقام اليهود بصلب يسوع واضطهاد تلاميذه في للقرون المسيحية الأولى، مستندين بذلك إلى قول اليهود أثناء محاكمة يسوع: "دمه علينا وعلى أولاد "[33]. كما لقُم اليهود بعدها بعدة قم ومنها تسميم آ ر المسيحيين، والتضحية طفالهم قرابين بشرية، وسرقة خبز للقر ن وتدنيسه، وبسبب هذه للتهم طُرد معظم اليهود من دول أورو الغربية إلى شرق أورو ووسطها وبلاد للغرب للعربي. ومع بداية للقرن العشرين هاجر اليهود هجرة عكسية من روسيا إلى غرب أورو نتيجة الاضطهاد الروسي والظروف الصعبة للتي علشوها، الأمر للذي أقلق للدول الاستعمارية حينها (بريطانيا وفرنسا)،مما دفع بريطانية لإعطاء "وعد بلفور"عام 1917م، حول الوعد قلمة وطن لليهود في أرض فلسطين، وذلك لتنسيق مع الحركة الصهيونية العللية بقيادة تيودور هرتزل، حيث جاء في شهادة هرتزل لأمام اللجنة للملكية البريطانية لهجرة للغر ء " إنّ يهود أورو الشرقية لا يستطيعون البقاء حيث هم،فأين يذهبون؟ إذا كنتم ترون أنّ بقاءهم هنا غير مرغوب فيه،فلابدّ من إيجاد مكان آخر يهاجرون إليه دون أن تثير هجرتهم المشاكل للتي تواجههم هنا لن تبرز هذه المشاكل إذا وجد وطن لهم معترف به قانونياً بوصفه وطناً يهود "[34]، فكان وعد بلفور بنزع فلسطين من اهلها وإعطائها لليهود ليس من ب لحق للتاريخي بحسب زعمهم وإنما كان للتخلص من اليهود غير المرغوب فيهم في عالم للغرب حفلظاً على هوية أور ولأهداف جيوسياسية أخرى بشهادة هرتزل نفسه.

---

33) إنجيل متى. الإصحاح 27.

34) حسن، محمد خليفة. (2004). اليهود وفكرة العداء للسامية. موقع الجزيرة: www.aljazeera.net.

في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، تشكلت الأحزاب السياسية المعادية للسامية في ألمانيا، وفرنسا، والنمسا. هذا وقد كانت "حركة الوحدة الألمانية (voelkisch-mouvement)" – المتسمة بظاهرة الخوف وكراهية الأجانب وراء الاعتقاد القائل ن اليهود "غير ألمان"، ولقد أضفى الحزب النازي،الذي أسسه أدولف هتلر عام 1919م، بعداً سياسياً على نظر ت العنصرية، وقد أدى نشر الدعا ت المعادية لليهودية دوراً في الشعبية التي اكتسبها الحزب النازي ولو بشكل جزئي. وفي عام 1935م، حددت "قوانين نورمبرغ" اليهود حسب دمهم وألمر لفصل الكلي بين "الآري" و"غير الآري" مقننين لتالي التفاضل العنصري[35].

كان هذا بداية عهد الدمار،الذي أصبحت فيه الإ دة الجماعية هي الشغل الشاغل لمعاداة السامية النازية، والتي بلغت أشدها إ ن الهولوكوست (المحرقة النازية) خلال الحرب العالمية الثانية وبخاصة عام 1942م في أوج النفوذ النازي،ليروح ضحيتها لأعداد كبيرة من اليهود. ونتيجة الاستثمار السياسي لناجح لهذا الحدث المأساوي رسخت الصهيونية وجودها في فلسطين من خلال ماكينة إعلامية عالمية ضخمت كثيراً من أحداث تلك المحرقة وأعداد ضحا ها، جاعلة منها عقدة ذنب لدى كثير من الألمان حتى اليوم، مستغلة أور السياسة لخلق واقع سياسي ظالم للشعب الفلسطيني تحت إدعاءات قيمية طالة من مظلومية الهولوكوست و رخية مزيفة من الحق اليهودي، لتطغى هذه السمة على الثقافة الأوربية بعمومها في موقفها من الكيان الصهيوني والحق العربي الفلسطيني في سائر المحافل الدولية بعدها.

b. الرهاب الإسلامي (Islamophobia)

الرهاب الإسلامي أو ما يعرف ب الإسلاموفوبيا أو كراهية المسلمين؛ هو مصطلح ظهر حديثاً في المجتمعات الغربية، ومعناه التحامل والكراهية تجاه المسلمين، أو الخوف منهم أو من الجماعات العرقية التي يُنظر إليها على أنّها إسلامية[36]. وقد لوحظ استخدام المصطلح منذ عام 1976م لكن استعماله بقي دراً في الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين، وذلك لأنّ الظروف السياسية لم تكن مهيئة حينها لنشر التعصب والكراهية ضد المسلمين فقد كان الكثير من متطرفيهم أصدقاء للولا ت المتحدة الأمريكية، حيث قُدّر لهذا المصطلح أن ينتشر انتشاراً سريعاً بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م، حين تت ر ح السياسة مواتية[37].

---

35) مجموعة من المؤلفين. ليلة الزجاج المكسور. موسوعة الهولوكوست. الموقع: https://encyclopedia.ushmm.org/.

36) Schaefer, Richard T. (2008). Encyclopedia of Race, Ethnicity, and Society. Los Angeles: SAGE Publications. DePaul University, USA.

37) الحمداني، ر قحطان. (2011). الإسلاموفوبيا؛ جماعات الضغط الإسلامية في الولا ت المتحدة الأمريكية. ط. 1. دار الكتب المصرية. القاهرة.

بسبب هذه التحول السياسي الذي حدث في موقف الولا ت المتحدة بعد أحداث سبتمر تجاه الإسلام والمسلمين، فقد سُجلت الكثير من المشاهد التي تتجلى فيها مظاهر التخويف من الإسلام، مثل:الهجمات اللفظية والجسدية على المسلمين في الأماكن العلمة، ولاسيما النساء اللواتي يرتدين الحجاب، والإعتداء على المساجد، وتدنيس مقابر المسلمين، والنيل من القرآن الكريم لإهانة والحرق والتدنيس، والتعرض لشخصية الرسول محمد (ص)من خلال الرسوم والأفلام المسيئة وغيرها من الكتا ت، وكذلك الكتابة العدائية على الجدران، وإلقاء القنابل الحارقة، وانتشار صورة نمطية سلبية عن المسلمين على نطاق واسع في وسائل الإعلام، وترويج هذه الصورة النمطية والملاحظات السلبية والأحكام المسبقة في الخطب السياسية والدينية وفي المحاد ت والكتا ت بشكل لن يكون مقبولاً إذا كان الحديث عن اليهود أو السود على سبيل المثال. وكذلك طال الأمر التمييز والإقصاء من الحصول على فرص العمل، وتوفير الخدمات، واستبعاد المسلمين أفراداً وجماعات من مبلشرة الشأن العام والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ والبيروقراطية والجمود في الرد على طلبات المسلمين في التعليم والرعاية الصحية والترخيص لطلبات الحصول على المساجد؛ قوانين الحد من الحر ت المدنية التي تؤثر بشكل سلبي في المسلمين[38].

c. كراهية الأجانب – Xenophobia

وهو غوذج يجسد العنصرية ومرض الكراهية للأجلنب،الذي غزا أورو وانتشر لتوازي مع موجات الهجرة إلى أورو خلال العقدين الأخيرين، وجاءت أحداث سبتمبر في أميركا والعمليات الإرهابية في عدد من العواصم الأوروبية لتعمق مشاعر الكراهية للأجلنب، ثم جاءت الأزمة الاقتصادية العالمية عام 2008م وارتفاع نسبة البطالة بين شباب أورو ، ثم جائحة فيروس كوفيد عام 2020 لتزيد نقمتهم على المهاجرين. وقد استغلت الجماعات الفاشية والتنظيمات العنصرية الأوروبية التي تضم عدداً من الشباب العاطل عن العمل،تلك الأجواء لنشر طروحاتها العنصرية، وكسب الأنصار تحت ذريعة أن المهاجرين يزاحمون أبناء أورو وينقلون إليها تقاليدهم وثقافاتهم المختلفة وقد نجح اليمين المتطرف، وبعد أن كان هامشياً في المجتمعات الأوروبية، في الوصول إلى المجالس التشريعية[39]. وهكذا أيضاً أدت مرة أخرى الأفعال السياسية التي انعكست على المجتمع الأوربي والغربي عموماً إلى حالة ثقافية غربية عامة قائمة على العنصرية وبعيدة عن قيم النهضة الأوربية في حماية ودعم حقوق الإنسان عبر العالم إلى اضمحلال الإنسان بين

38) مصدر سابق. (الحمداني. 2011).

39) جي، عبد النور. (2020). تداعيات صعود أحزاب اليمين المتطرف في أور على حقوق وحر ت المهاجرين واللاجئين. مج. 10. ع. 3. جامعة عنابة. الجزائر. ص. 300 – 312.

جنبات أور نفسهلبدواعي عنصرية على أساس موطن للميلاد والعرق تحولت من خلاله هذه الحلة الثقافية إلى تيار شعبي أفرز قيادات حققت انتصارات سياسية ودخلت المجالس التشريعية، حيث هؤلاء العنصريون يؤمنون بتفوق الجنس الأوروبي الأبيض، وبرقيه بين الأجناس، مما ينذر بمستقبل تكون فيه الذهنية العنصرية بدواعي الهوية الأوربية المشكلة سياسياً هي سيدة القرار السياسي.

d. فخر المثليين – LGBTQ pride

يعبر مصطلح فخر المثليين (او شهر الفخر) لدى المتبنين له عن الموقف القائم ضد التمييز والعنف ضد الأشخاص (غير المغايري الجنس) المعروف سم مجتمع للميم أول (LGBTQ) من المثليين، والمثليات، ومزدوجي الميول الجنسي، والمتحولين جنسياً ، ولأحرار الجنس، والاحتفال لتنوع الجنسي والجندري لهؤلاء الأشخاص من خلال شهر الفخر الذي يحتفلون فيه في شهر يونيو / حزيران من كل عام[40].

إنّ الغرب وأورو على وجه الخصوص قد امتلكت خلال فترة زمنية طويلة نسقاً ثقافياً، ذي خصوصية ومركزية قيمية دينية مسيحية كما رأينا، هذا النسق كان مؤثراً في علاقات الناس وتفاعلاتهم، ولاسيما العلاقات التفاعلية الجندرية، إذ كان النمط العلائقي الجندري (ذكر وأنثى) هو النمط الوحيد الحاضر في البنية الاجتماعية الثقافية والسياسية حضوراً رسمياً، وكلت الأنماط الجندرية الأخرى مرفوضة اجتماعياً وثقافياً وحتى تشريعياً، فخلال القرنين الثامن عشر والتاسع وعشر وحتى منتصف العشرين كلت القوانين تحرم المثلية الجنسية. لكن وبعد تبدل السياقات الثقافية الحداثية وما بعد الحداثية الأوروبية ووصول أورو إلى النمط الليبرالي والليبرالي الجديد، القائم على نظام العولمة والانفتاح الاقتصادي الثقافي، ومركزية المادية وطغيان المذهب النفعي على مرجعية القيم الأخلاقية ونسفها لما كلت تشكله من عائق للنهج النفعي غير الأخلاقي للاقتصاد الرأسمالي، الأمر الذي أدى إلى نشوء شركات عابرة للقارات ذات قدرات مالية تفوق قدرات دول ومجموعات مجتمع مدني ذات البعد الاقتصادي الثقافي المبعد الحداثي الذي تخلى عن مركزية الانسان الليبرالية لصالح المركزية المادية النفعية لليبرالية الحديثة، مما شكل مجموعات ضاغطة سياسياً ذات ثقل مهيمن على السياسة في الغرب والعالم، وبذلك بدأت الأنماط الجندرية الأخرى تظهر

40) Lavers, Michael K. (2012). NAACP president: marriage is 'civil rights issue of our times'. Washington Blade; America's LGBTQ News Source. Also See: LGBT pride, Wikipedia, https://en.wikipedia.org/wiki/LGBT_pride

رسمياً وتُشرّع سيلسياً، وغدا رفضها تحطيماً للأمن المجتمعي واعتداء على حق مقدّس من حقوق الإنسان الطبيعية[42,41].

ففي يوليو (تموز) من عام 1967 صدر قانون بريطاني يضفي الصفة الشرعية على العلاقات المثلية؛ فلم تعد المثلية حينها جريمة، ومثلها انتهجت العديد من الدول الاوربية مثل الدنمارك وهولندا وبقية الدول الاسكند فيا وغيرها من الدول الأوربية، وختامها كان في الولا ت المتحدة الأمريكية مع صدور قانون أو ما عام 2014م الخاص بشهر الفخر الذي حدد في مارس/آذار من كل عام[43].

ومع تطور وسائل الإعلام وظهور الفضاءات المفتوحة ومواقع التواصل الاجتماعي، وانفتاح العالم العربي على السياقات الثقافية الأخرى واطلاعه على الأنماط الجندرية الحاضرة في أورو ، ولا سيما النمط المثلي، بدأت موجة مظاهر التعبير عن معاداة المثلية لظهور والانتشار، كلنعاس طبيعي للثقافة العربية المتدينة بهويتها سواء بمرجعيتها الإسلامية او حتى المسيحية على غرار ما كان سائداً في أور نفسها سابقاً حين كلنت تحرم المثلية قانونياً كما رأينا، فصار ينظر للغرب وأور إلى الإنسان العربي الرافض للنمط الجندري المثلي على أنّه إنسان متأخر ثقافياً وذو خلفية دينية متزمتة، متجاهلين السياقات الثقافية الأوربية السابقة وارتباطه لتحولات التي طرأت على مركزية القيم لديهم.

والحقيقة أنّ مركزية للقيم للنمط البنيوي الثقافي المهيمن على المجتمع العربي هي مركزية أخلاقية دينية، فإن للنمط الديني هو المعبر عن رؤية الإنسان العربي، ولأنماط سلوكياته، وتفاعلاته الجندرية، لذلك من الطبيعي أن يكون التوجه الجنسي المثلي مرفوضاً اجتماعياً وثقافياً لتضاد مع القيم الدينية، غير أنّ للغرب عموماً هاجم الإنسان العربي غير المتقبل لهذه التوجهات الجندرية، واتهمه بمعاداة للقيم الإنسانية التحررية من دون أن يحاول فهم البنية الذهنية العربية الرافضة لهذه التوجهات، ومن دون أن يتذكر بخه الخاصّ؛ إذ تعرّض المثليون، كما أشر أثناء حديثنا عن الحرب العللية الثلنية، إلى مجازر رهيبة، راح ضحيتها الكثيرون.

ففي تقرير قديم نشرته صحيفة «الجارد ن» بعنوان «الخروج من العصور المظلمة» – يتحدث عن عقود من الاضطهاد واجهها المثليين في بريطانيا – تقول الكلتبة «جيل الدين بيديل»: «إن الحياة في بريطلنيا قبل 40 علمًا كلنت مختلفة تملمًا، فالوقوع في حب شخص مثلي، كان من الممكن أن يجعل منك

41) Badgett, M.V. Lee. Park, Andrew. & Flores, Andrew. (2018). Links between economic development and new measures of LGBT inclusion. UCLA School of Law. USA.

42) Gevisser, Mark. (2020) How globalization has transformed the fight for LGBTQ+ rights. The Guardian.

43) LGBT RIGHTS. #OUTLAWED. Human Rights Watch. https://features.hrw.org/features/features/lgbt_laws/

مجرمًا، والابتسام لشخصٍ ما في الحديقة قد يقودك للاعتقال، حينها كانت المثلية غير قانونية، وكان هناك مئات الآلاف ممن يخشون أن يُظهروا ميولهم الجنسية؛ إذ كانت الشرطة تلصق الاتهامات حتى بمجرد الشكّ»[44].

ومن الملفت حقيقة هو التشابه الذي نراه في تطور قضية المثلية والهوية الأوربية لتوازي مع تحول مركزية القيم الأخلاقية والثقافية للمجتمع مع قصة دينية مشهورة وردت في الكتب السماوية، فهي قصة سدوم وعمورة في التوراة والإنجيل[45]، وهي قصة قوم لوط في القرآن الكريم. والشاهد هنا يرتبط بقصة قوم لوط التي وردت في القرآن الكريم بتفصيل شديد وفي مواضع عدة، منها: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ(28) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(29) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ(30) العنكبوت)[46]، حيث يخلط بنبي لوط قومه وينكر عليهم أنهم أتوا بسابقة فاحشة لم تعرفها الإنسانية من قبل، والفاحشة لم تقتصر على المثلية الجنسية لأنها شأن غرائزي كان له لا شك حدوث فردي متفرق قبلاً، لكن السابقة كانت لما ارتبطت الفاحشة معرفياً لإنسان وتجسدها في عقل جمعي كثقافة وهوية من خلال ثلاث أحداث ومستو ت وهي: تون الرجال، تقطعون السبيل، تون في ديكم المنكر.

حيث بدأت القصة من مرحلة (تون في ديكم المنكر)؛ وهي تمثل نشوء الليبرالية في الغرب ومركزية الفردانية وحرية الإنسان المطلقة فيها والتي جلبت على المجتمع هوية ثقافية جديدة نسفت القيم المجتمعية السابقة التي تنكر هكذا نوع من الحر ت غير المنضبطة بقيم المجتمع الأصلية. ثم انتقلت إلى مرحلة (تقطعون السبيل)؛ هذه المرحلة تمثل الفلسفة الحداثية والتحول نحو الليبرالية الحديثة (الليبرالية الاقتصادية) حيث تحولت المركزية فيها من الإنسان إلى المادية والنفعية التي ألغت القيم الأخلاقية كقيم مرجعية للاقتصاد وجعلت القيمة الحقيقية هي بتحقق المنفعة متجردة من أي قيم أخلاقية. ثم لتختمها بمرحلة (تون الرجال)؛ وهي تمثل جوهر المذهب ما بعد الحداثي القائم على التجرد من كافة الأطر والنظم الأخلاقية للمجتمع والعلاقات الإنسانية، حيث استخدم القرآن لفظ الرجال للدلالة على أنما قام به قوم لوط ليست المثلية كحدث غرائزي شاذ ممكن ان يقوم به بعض الأفراد كحالات فردية، وإنما نهج مجتمعي تظاهر عليه قوم لغا ت ضرب منظومة الإنسان صاحب المبادئ المستندة إلى مرجعية قيمة،

44) Bedell, Geraldine. (2007). Coming out of the dark ages. The Guardian. https://www.theguardian.com/society/2007/jun/24/communities.gayrights

45) العهد القديم (التوراة). سفر التكوين (19). الآ ت: 1-38.

46) القرآن الكريم. سورة العنكبوت (26)، الآ ت: 28-30.

وصل ذلك حد سن التشريعات والقوانين الداعمة لذلك. وفي ذلك تفصيل تضيق عنه صفحات هذه الورقة البحثية ويخرج عن هدفها البحثي نفصله في بحث آخر بحول .

الخلاصة

من خلال هذا التناول المختصر والمركز لقضية الهوية الغربية وتحولها وفقاً لتحول مركزيتها القيمية بتأثير السيلسة فيها خلال فترة الدرلسة، يظهر لنا جلياً حجم التحولات التي مرت بها هذه الهوية، والتغيرات الكبيرة التي ترتبت على هذه التحولات، والتي عايشها الغرب وانتقل بها من مركزية قيمية إلى أخرى ومن هوية ثقافية إلى أخرى، منفعلاً بها ومتفاعلاً معها لقدر الذي أحدثته السيلسة من أحداث كلنت بمثلبة القالب المتحول الذي يُقولب هذه الهوية فيه من خلال إخضاعها لمتغيرات السيلسة مما انعكس بشكل مباشر على تحولات مركزية القيم والهوية الثقافية الغربية عموماً.

هناك حلحة ملحة لقراءة واعية للمستقبل الذي ينتظر الغرب جراء هذا التدخل السافر للسيلسة في تشويه مركزية القيم وإعادة تشكيل الهوية الغربية، ومدى التلاعب بها لتحقيق السيلسات التي يطمح السيلسيون لتنفيذها على الأرض، والتي ما كلنت لتكون لولا حشد الرأي العام الغربي لمناصرتها و تبدها بدافع التهديدات لهذه الهوية المشكلة بقالب السيلسة، أو بدافع عنصر التفوق الذي لخنزع أوهلمه السياسيون أنفسهم لذات الأسباب.

إن الذي يجب على الغرب أن يعيه حق وعيه، هو أن هذه التغيرات الجوهرية التي تخضع لها الروح الغربية، والتي كلنت سبب الإشعاع الحضاري للغرب الذي استند إلى القيم والمبادئ الإنسانية التي أسس لها عصر الأنوار الأوروبي، تت مهددة لقوة الإمبرلية الغربية نفسها، بسبب ما يتحلى من مظاهر الشذوذ الإنساني في الهوية الثقافية الغربية التي تت تتأثر كثيراً لكراهية والعنصرية والانحلالية، ومتأثرة ومتفاعلة في ذلك مع التغيرات السيلسية والسيلسات المنهجة التي يرسمها الغرب للهيمنة على العالم والتي لا تستثني أي وسيلة سواء أكلنت ذات مظهر أخلاقي أم غير أخلاقي في سبيل الوصول إلى المصالح التي يعتقد السيلسيون أنها تخدمهم، في تطبيق سافر لنفعية موغلقلن تصل ور وللغرب عموماً وعلى رأسهم للولا ت المتحدة الأمريكية، إلا إلى القهقرى والنكوص للخلف إلى عهد طللتذكره للغرب بحرقة وألم وهو يتذكر مآسيه الأليمة ونتائجه الوخيمة نتيجة لحروب الأهلية والطائفية والدينية والعرقية التي كلبد جنوها ودفع ضريبتها لسنوات طوال، تحقيقاً لسنن في الاجتماع الانساني أو ما يعرف علمياً بقوانين الحضارة وفلسفة التاريخ كما راينا في قصة قوم لوط.

إن الخطر المستقبلي الذي أزعم أن للغرب سيكابده، لن يكون الجملعات الإسلامية المتطرفة بحسب زعمهم، بل هو التطرف للمادي المتجرد من كلفة للقيم والأخلاق للغرب العنصري والطائفي والذي

ظنت أور لها ستنساه للأبد، فها هو قد عاد إليها منذراً بمستقبل كان يخمن السوء يكفي لأن يقف عقلاء الغرب موقف حق تجاه هذه السيلسات الظللة التي يطبقها سيلسيوهم، مطلقين سهام مصالحهم لاصطياد مآربهم والتي ستصيب بسهامها تلك الغربيين أنفسهم قبل سواهم.

المراجع:

إبراهيم. عبد . المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات. ط: 1. القاهرة: المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، 1997.

أسبورغ، مور ل. الاتحاد الأوربي والربيع العربي: البيان مقابل السياسية. العدد 26. مجلة سياسات عربية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

الحمداني، ر قحطان. الإسلاموفوبيا؛ جماعات الضغط الإسلامية في الولا ت المتحدة الأمريكية. ط. 1. القاهرة: دار الكتب المصرية ، 2011.

المسيري، عبد الوهاب. الإنسان والحضارة. القاهرة: دار الهلال، 2002.

بلقيز، عبد الإله. نقد الثقافة الغربية: في الاستشراق والمركزية الأوربية. ط: 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، 2017.

حاطوم، نور الدين. ريخ الحركات القومية؛ يقظة القوميات الأوربية. ج: 1. ط: 2. دمشق: دار الفكر، 1997.

عبد الحفيظ، سعيد محمد سعيد. الاعتزاف لمسيحية زمن الامبراطور قسطنطين الأول (337-306) بين الرمز الديني والتوظيف السياسي العسكري. المجلة الليبية العالمية. العدد 5. كلية التربية. جامعة بنغازي، 2016.

عبد الهادي ، ر ب إبراهيم. صناعتا رهاب الإ سلام واللوبي الاسرائيلي: العالقات المتداخلة وتوصيات السياسات المناهضة للعنصرية. كتاب: صناعتا رهاب ال إ سالم واللوبي السرائيلي: العالقات المتداخلة وتوصيات السياسات المناهضة للعنصرية. اتلانتا: مركز كارتر،(2018): 14 – 22.

عروسي، سهيل. حوار الحضارات بين الواقع والطموح. مجلة الموقف الأدبي. مج:31. عدد: 372. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. (2022) ص. 157-161.

موران، إدغار. ثقافة أور وبربريتها. ت: محمد الهلالي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء.، 2005.

ميلاد، زكي. المسألة الثقافية: من أجل بناء نظرية في الثقافة. ط: 1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، 2005.

جي، عبد النور. تداعيات صعود أحزاب اليمين المتطرف في أور على حقوق وحر ت المهاجرين واللاجئين. مج. 10. ع. 3. الجزائر: جامعة عنابة، 2020.

الموسوعة العربية العالمية. مجموعة من الباحثين. ج: 9. ط: 2. الر ض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999.

مجموعة من المؤلفين. ظاهرة الهجرة كأزمة عالمية بين الواقع والداعيات؛ أعمال المؤتمر الدولي الأول. . ط. 1. ج. 1. برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاسنزاتيجية والسياسية والاقتصادية، 2019.

العلبي، إبراهيم. السويد على أعتاب الناتو بضوء أخضر تركي.. ما مكاسب أنقرة؟. موقع الجزيرة: www.aljazeera.net

الأنصاري، عبد الحميد. كراهية الجانب مرض يغزو اور . صحيفة الجريدة. الكويت. موقع : www.aljarida.com

حسن، محمد خليفة. اليهود وفكرة العداء للسامية. موقع الجزيرة: www.aljazeera.net.

نظام، بركات. تداعيات أحداث سبتمبر على النظام الدولي. موقع الجزيرة: www.aljazeera.net.

مجموعة من المؤلفين. ليلة الزجاج المكسور. موسوعة الهولوكوست. الموقع: https://encyclopedia.ushmm.org/

Carlton J.H. Hayes. (1983). *Christianity and Western Civilization*, Publisher ABC-CLIO, 1983.

Wolf, Eric R. (1982). Europe and the People Without History. California: University of California Press. Chapter 1, (1983): 3-23

Belloc, Hilaire. Europe and the faith. Ed. 4. New York: The Paulist Press, 1930.

Gaddis, John Lewis. The Cold War; a new history. New York: The penguin Press, 2005.

Saunders, Frances Stonor. The Cultural Cold War: The CIA and the World of Arts and Letters. Ed. 2. New York: The New Press, 2013.

Fossum, John Erik. Philip R. Schlesinger. The European Union and the Public Sphere. 1st Edition. London: Routledge, 2007.

Hess, Jonathan M. Johann David Michaelis and the Colonial Imaginary: Orientalism and the Emergence of Racial Antisemitism in Eighteenth-Century Germany. *Jewish Social Studies*, New Series, Vol. 6, No. 2. (2000): 56-101. https://www.jstor.org/stable/4467576

Schaefer, Richard T. Encyclopedia of Race, Ethnicity, and Society. Los Angeles: SAGE Publications, 2008.

Badgett, M.V. Lee. Park, Andrew. & Flores, Andrew. Links between economic development and new measures of LGBT inclusion. USA: UCLA School of Law, 2018.

Gevisser, Mark. (2020). How globalization has transformed the fight for LGBTQ+ rights. The Guardian.

LGBT RIGHTS. #OUTLAWED. Human Rights Watch. https://features.hrw.org/features/features/lgbt_laws/

Bedell, Geraldine. (2007). Coming out of the dark ages. The Guardian. https://www.theguardian.com/society/2007/jun/24/communities.gayrights

Lavers, Michael K. (2012). NAACP president: marriage is 'civil rights issue of our times'. Washington Blade; America's LGBTQ News Source. Also See: LGBT pride, Wikipedia, https://en.wikipedia.org/wiki/LGBT_pride

Bergen, Peter L. (2001). September 11 attacks. Encyclopaedia Britannica. Link: www.britannica.com.